مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال ٩: ٣٢–٤٣)

في تلك الأيام فيما كان بُطرسُ يطوفُ في جميع الأماكن نزلَ أيضاً إلى القدِّيسينَ الساكِنينَ في لُدَّة* فوجد هناك إنساناً اسمه أينِياسَ مُضطَجعاً على سريرٍ منذ ثماني سِنينَ وهو مخلَّع* فقال له بطرسُ يا أينياسَ يشفِيكَ يسوعُ المسيحُ قُم وافترِشْ لنفسِك. فقام للوقتِ* ورآهُ جميعُ الساكِنينَ في لُدَّة وسارونَ فرجعوا إلى الربِّ* وكانت في يافا تِلميذةٌ اسمها طابيتا الذي تفسيرُهُ ظَبية. وكانت هذه مُمتلئةً أعمالاً صالحةً وصدقاتٍ كانت تعملُها* فحدث في تلك الأيامِ أنَّها مَرِضَت وماتت. فغَسلوها ووضعوها في العلِّيَّة* وإذ كانت لُدَّةُ بقربِ يافا وسمعَ التلاميذُ أنَّ بطرُسَ فيها أرسلوا إليه رجُلين يسألانِه أنْ لا يُبطئ عن القدوم إليهم* فقام بطرُسُ وأتى معهما. فلمَّا وصل صعِدوا به إلى العلِّيَّة

إنتظار المسيح

«لنفسي المخلّعة جدًّا بأنواع الخطايا الكثيرة والأعمال القبيحة أنهض يا ربّ بعنايتك الإلهية، كما أقمت المخلّع قديماً، حتى إذا خلصتُ أصرخ هاتفاً: المجد لعزّتك أيها المسيح الرؤوف» (قنداق أحد المخلّع).

يخبرنا إنجيل يوحنا (الإصحاح ٥) عن إنسان طال انتظاره للإفتقاد الإلهي. رجل مخلّع منذ ثمانٍ وثلاثين سنة عقد العزم على أن يجلس قرب البركة الغنمية «لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركةِ ويحرّك الماء، والذي كان ينزل أولاً من بعدِ تحريكِ الماءِ كان يُبرأ من أي مرض اعتراهُ» (يو ٥: ٤). ويشير المقطع الإنجيلي إلى أنه من بعد الإنتظار الطويل والخيبات المتكرّرة، لأنه كان دائماً يأتي مَن يسبقه إلى النزول إلى المياه، وافاه الإله الحي، الذي تسجد له كلّ ملائكة السماء، وأظهر له ذاته، وأعطاه شهوة قلبه: شفاء النفس والجسد.

ولكن المفارقة البادية بوضوح في النص الإنجيليّ أنّ السيّد العالِم بمكنونات القلوب والذي لا يخفى عليه أمر من أمور الخلائق، طرح على الكسيح القابع أمام البركة الشافية سؤالاً يبدو الجواب عنه في غاية البداهة: «أتريد أن تبرأ؟» أفلم يلاحظ الرب يسوع ما يبتغيه هذا الإنسان؟ يبدو السؤال في ظاهر الأمر عبثياً لأنّ الإجابة عليه أكثر من معروفة. لكننا إذا ما تفحصنا الجواب «ليس لي إنسان متى حُرّك الماء يُلقيني في البركة»، نجده يعبّر ببلاغة عن عجز الإنسان الكامل وعن غياب أيّة إمكانية بشرية لمؤاساته وتلبية حاجاته. في حالة المخلّع غيابٌ كاملٌ للتعزية البشرية وعجزٌ عن بلوغ السلوى الملائكية. يقول القديس يوحنا السلّمي، وهو من كبار معلّمي مناهج الحياة الروحية: «حيث تغيب التعزية البشرية توافي التعزية الإلهية».

العدد ٢٠١٢/١٩

الأحد ٦ أيار

أحد المخلّع

تذكار القديس أيوب الصدّيق

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الخامس

كم نحن في واقعنا بحاجة إلى التعزية الإلهية، ولكننا نفضل في أحيان كثيرة أن نُلهي الذات عن الحزن والألم بتعزيات مصطنعة لا جدوى لها ولا شفاء فيها، بل هي إن عبّرت عن شيء، فهي إنما تعبّر عن عدم صبرنا وعن ضعف حسّ الرجاء فينا. قلّة منّا في هذه الأيام تلقي على الرب كلّ همّها وتأبى أن تتعزّى إلاّ من يمينه العزيزة. فمخلّع الإنجيل

ووقف لديه جميعُ الأرامِل يبكينَ ويُرينهُ أقمصةً وثياباً كانت تصنَعُها ظَبيةُ معهنَّ* فأخرج بُطرسُ الجميعَ خارجاً وجثا على رُكبَتيهِ وصلَّى. ثم التفتَ إلى الجسدِ وقال يا طابيتا قومي. ففتحت عينيها. ولما أبصرَت بُطرسَ جلست* فناولها يده وأنهضها. ثم دعا القدِّيسين والأرامل وأقامها لديهم حيَّةً* فشاع هذا الخبرُ في يافا كلِّها. فآمن كثيرون بالرب.

الإنجيل

(يوحنا ٥: ١–١٥)

في ذلك الزمان صعِد يسوعُ إلى أورشليم* وإنَّ في أورشليم عند بابِ الغنمِ بِركةً تُسمَّى بالعبرانية بيتَ حسدا لها خمسةُ أروِقة* كان مضطجعاً فيها جمهورٌ كثيرٌ من المرضى من عميانٍ وعُرْجٍ ويابسي الأعضاءِ ينتظرون تحريكَ الماءِ* لأنَّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البِرْكَةِ ويحرّك الماءَ. والذي كان ينزلُ أولاً من بعدِ تحريكِ الماءِ كان يُبرأ من أيّ مرض اعتراه* وكان هناك إنسانٌ به مرضٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنةً* هذا إذ رآهُ يسوعُ مُلقًى وعلِم أنَّ له زماناً هو بحقّ رسالة لنا في وجوب الصبر والثبات في الجهاد من أجل نيل بركة الرب ورحمته.

والأمر الآخر الذي شاء المسيح أن يعبّر عنه، في سؤاله للمخلّع، هو أهميّة إرادة الإنسان في تحقيق خلاصه وفي نيله الشفاء الحقيقي. «أتريد أن تبرأ؟» سؤال يؤكّد دور الإرادة البشرية في اقتبال الخلاص وفي تحققه. الله لا يفرض خلاصه أو نعمته علينا عنوةً. بل هو يدعونا للدخول في حوار حرّ معه يؤول بنا إمّا إلى اقتبال الخلاص أو إلى رفضه. لا بد لنا أن نعبّر من عمق القلب والكيان، كما عبّر مخلّع البركة الغنمية، عن توقه إلى الإنعتاق والحرية.

نجد في الكتاب المقدس وفي سير القديسين وتقليد الكنيسة الشريف أمثلة غير قليلة على انفتاح الإنسان على التدبير الإلهي (من أجل خلاصه)، من خلال الصبر والإذعان الحرّ لمشيئة الله واللذين يؤولان بالإنسان إلى التعبير الواضح عن الرغبة بالخلاص والشفاء. أيوب الصديق بقي على المزبلة معترفاً بخيرات الرب وإحساناته، مظهراً رجاءً لا ينقطع في انتظار الرب «في كلِّ هذا لم يُخطئ أيوب ولم يَنسِبْ للهِ جهالةً... في كلِّ هذا لم يُخطئ أيوب بشفتيه» (أيوب ١: ٢٢ و٢: ١٠). ولكَم طال انتظار إبرهيم للرب قبل أن يمنحه ابنه إسحق! وذلك رغم ضعفه وزلل قدميه أكثر من مرة. كذلك يعقوب، أبو الآباء، رضي أن يعمل سبعة أعوام عند خاله لابان، ولما خاب أمله جدّد العهد وعمل سبعة أعوام أخرى حتى حظي براحيل الساعي إليها. أما داود النبي فيرنم بيقين: «إنتظاراً إنتظرت الرب فمال إلي وسمع صراخي » (مز٤٠:١)، وأشعياء يهتف بثقة: «أما الرَّاجونَ للرب فيتجدَّدون قوةً، يرتفعون بأجنحةٍ كالعِقْبان، يعْدونَ ولا يُعيَون، يسيرون ولا يتعبون » (أشعياء ٤٠: ٣١). هذا أيضاً ما تعلّمنا إيّاه السيدة والدة الإله التي كانت نموذجاً لسلوك الطريق الضيق والصبر والتجلّد في انتظار الرب، عبر قبول الحرَج أمام خطيبها الذي «همّ بتخليَتها سرًّا» (متى ١: ١٩)، ثم الهرب إلى مصر، واحتمال ما تعرّض له ابنها من شتائم واتهامات، إلى أن شاهدته معلّقاً على الخشبة. «وأنتِ يجوز في نفسك سيف» قال لها سمعان الشيخ (لوقا ٢: ٣٥).

هذا أيضاً ما يعلّمنا إيّاه شهداء الكنيسة ونسّاكها الأبرار. نرتل للقديس سمعان العمودي «لقد ظهرت للصبر عموداً»، ونقرأ في سِيَر الشهداء القديسين وفي ايقوناتهم عمّا عانوه من الآلام المبرّحة، ونزف الدم وتوتير الأعضاء بصبر وانتظار حثيث لنور الرب وافتقاده. «ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل» (عبرانيين ١١: ٣٥).

أما أنت يا أخي، فتدعوك الكنيسة أن تتمثل بانتظارِ المخلّع وصبر القديسين. وإن ألمّت بك شدّة أو حاربتك تجربة، فلا تيأسنّ، مهما بدا الليل قاتماً والظلمة كثيفةً، بل «إنتظر الرب، تجلّد وليتشدد قلبك، إنتظر الرب...» (مز ٢٧: ١٤).

موسم المحبة

موسم المواسم كما تدعوه الكنيسة في ترانيمها هو الموسم الفصحي الذي نعيشه اليوم والذي تدعونا فيه الكنيسة إلى الصفح والمحبَّة. تعبّر الكنيسة عن فرحها

كثيراً قال له أتُريدُ أن تُبْرأ* فأجابه المريضُ يا سيّدُ ليس لي إنسانٌ متى حُرِّكَ الماءُ يُلقيني في البِركة بل بينما أكونُ آتياً ينزِلُ قبلي آخَرُ* فقال له يسوعُ قُمِ احمِلْ سريرَك وامش* فللوقت بَرِئَ الرجلُ وحمل سريرَهُ ومشى. وكان في ذلك اليوم سبتٌ* فقال اليهود للذي شُفي إنَّه سبتٌ فلا يحِلُّ لك أن تحمِلَ السريرَ* فأجابهم إنَّ الذي أبرأني هو قال لي إحملْ سريرَك وامش* فسألوهُ مَن هو الإنسانُ الذي قال لك احمِلْ سريرَك وامش* أمَّا الذي شُفي فلم يكُن يعلمُ مَن هو. لأنَّ يسوعَ اعتزلَ إذ كان في الموضِعِ جمعٌ* وبعدَ ذلك وجدهُ يسوعُ في الهيكل فقال له ها قد عُوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطئُ لئلا يُصيبك أشرُّ* فذهبَ ذلك الإنسانُ وأخبر اليهودَ أنَّ يسوعَ هو الذي أبرأهَ.

تأمل

«ووقف لديه جميع الأرامل يبكين».

انه ينبغي أن لا نندب ولا ننوح على أمواتنا بعد ان حقق لنا سيدنا له المجد قيامة الأموات. فما بالنا نبكي على الأموات بحرقة ونتّخذ النائحات والنادبات وقد قهر سيدنا بقيامة السيّد مستذكرةً نبأ القيامة والفرح الذي ساد بين التلاميذ بعدما أيقنوا قيامة السيّد من القبر. هذا الفرح يلي الحَدَث المؤلم الذي كاد أن يفرّق الرسل، أعني به الصليب. الصلب والقيامة هما موضوع البشارة منذ بدء المسيحية، ومحور هذين الحدثين هو المحبّة. محبّة الخالق لخليقته، محبّة الجابل لجبلته. بحسب شرعة المحبّة هذه، انحنت السماويّات نحو الأرضيّات لترفعها نحو العلاء، منقّية إيّاها ومذكّرةً إيّاها بالمجد الذي كان لها.

تتجلّى المحبّة الإلهيّة بقول الرب في إنجيل يوحنا «لأنّه هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). محبّة الله الآب لا تحدّ حتى إنّه ضحى بابنه. الإبن كان عالماً سبب مجيئه إلى العالم ولكنّه لم يَخَفْ بل أطاع بحسب المحبّة التي عنده «وهو عالِمٌ أنَّ ساعتَه قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحبَّ خاصتَه الذين في العالم، أحبّهم إلى المنتهى» (يو ١٣: ١). هذه المحبّة عينها أشفقت على إبرهيم الذي أحبّ الله بكليّته فكان التدخّل الإلهي في ساعة التضحية كي لا يموت إسحق. عندما يفحص الله المحبّة الإنسانيّة لله، يتدخّل ليحافظ على أبراره.

في عالم اليوم يشعر المرء أنّ مفهوم المحبّة ضائعٌ. فقدت المحبّة قيمتها الجوهرية لتتحوّل مشاعر مهترئة أو مجرّد وسيلة متماشية مع الطابع التجاري للمجتمع. في المسيحية، أن تحبّ يعني أن تبذل نفسك عن الآخر، أن تقدّم الآخر على نفسك. «مَن أراد أن يكون فيكم أوّلاً، فليكن لكم عبداً» (متى ٢٠: ٢٧). إلاّ أنّ المحبّة قد تحوّلت في العالم إلى قانونٍ أو شرعة يتمّ الإستغناء عنها عند الحاجة. والصورة الأسوأ للمحبّة هي المحبّة الأنانيّة التي تتحوّل إلى إستعباد. هذا النوع من المحبّة هو ماديّ فيما المحبّة الحقّة لا تُشرى ولا تباع. المحبّة الحقّة هي أن نحبّ الربّ يسوع وأن نبذل جهدنا لنشر خبر قيامته في كلّ المسكونة فتسبّح كلّ نسمةٍ الرب. المحبّة الحقّة تقضي بأن ندعو تلاميذ للمسيح لا خدّاماً لنا. العمل البشاري لتلاميذ الرب لا ينفصل عن قول بولس الرسول «إن كان لي كلّ الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبّة، فلست شيئاً» (١ كو ١٣: ٢). هذا الرسول الذي بشّر سائر أقطار المسكونة، أسّس جماعاتٍ تؤمن بالإبن المصلوب القائم من الأموات ولم يكن له جماعةً خاصّة. رغم المكانة التي كانت له لم ينسَ الرسول بولس أنّه صورةٌ أو بوقٌ ينقل للناس السماويّات ولم يتكبّر أو يتعالى على يعقوب أسقف الجماعة الأولى التي كانت في أورشليم.

الرسالة التي تقرأ في هذا الأحد المبارك، «أحد المخلّع»، تنتهي بعبارة «فآمن كثيرون بالرب». بعد شفاء بطرس للمخلّع وإحياء طابيتا، لا يُظهر النصّ أيّ اعتزاز للرسل بذواتهم وإنّما يحيلنا إلى مصدر المعجزة وهو الرب يسوع، وإلى الهدف من عمل الرسل وهو الإيمان بالرب. هذا الإيمان نجده أيضاً عند أيوب الصديق الذي نعيّد له في هذا الأحد أيضاً. فقد عانى أيوب ما عاناه من نكباتٍ وأوجاعٍ إلاّ أنّه حافظ على إيمانه بالرب. لم يتأثّر أيوب بالتعييرات بل أنكر ذاته وحمل صليبه على رجاء الخلاص.

يسوع المسيح الموت وانتزع ملكه وسلطانه. ما بالك يا هذا تنوح نوحاً مزعجاً وتكابد أحزاناً وغموماً وقد صار موتنا نوماً عارضاً من شأنه الزوال. ولقد كان يجب علينا أن نضحك على الخارجين عنا الذين ينكرون قيامة الأموات. فما بالنا نجعل الخارجين عنا يضحكون علينا لأنهم يقولون ان النصارى لو كانوا يُصدِّقون بقيامة الأموات كما يزعمون لما كانوا يعملون على موتاهم هذه الأعمال. مابالكِ أيتها الإمرأة تندبين بالبكاء والعويل وتكثرين من الحزن والنحيب وتتخذين النوائح والنوادب وتخدّشين وجهكِ وتنهشين ساعديكِ وتقطعين شعركِ وتلطمين وجهكِ. ألا تنظرين إلى حياتها بعد الموت الذي دعاه الرب نوماً.

ما بالنا نندب على من خلَّصه الله من موطن الآفات ونبكي ونتحرّق على مَن رفعه الله من قرارة الأتعاب والهموم... ينبغي أن لا نحزن على أمواتنا بل يجب علينا أن نسرَّ ونفرح لنقلهم من أرض الشقاء إلى دار النعيم حيث لا غمَّ ولا حزنٍ ولا أسف ولا ندم ولا همَّ ولا تنهُّد بل نعيم الملكوت الذي لم ترهُ عينٌ ولم تسمع به أذنٌ ولم يخطر على فكر بشرٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

المحبّة تتأنّى وترفق، لا تحسد، لا تتفاخر، لا تنتفخ، ولا تظنّ السوء (١ كو ١٣: ٤). وتسقط أمام المحبّة كلّ مؤامرات الأعداء المنظورين وغير المنظورين. كذلك ترذل المحبّة المال وتسعى في ابتغاء السيّد، تنقلنا من حالة التفكير الأرضي المادي إلى التفكير الروحي. في القداس الإلهي يدعو الكاهن في بدء الكلام الجوهري قائلاً «لنحبّ بعضنا بعضاً لكي بعزم واحد نعترف مقرّين». أي قبل أن نعلن بإيماننا بالثالوث المتساوي في الجوهر علينا أن نظهر محبتنا لبعضنا. عندما نمتلك هذه المحبّة الروحانيّة ننسى الحقد والأنانيّة والتكبّر ونصل إلى الإعتراف بالآب والإبن والروح القدس ونشترك في جسد المسيح الذي قام وبزغ من القبر.

من أقوال الآباء

+ أنت يا مَن تُصارع أمواج بحر الحياة الهائج كل يوم، وأنت محمّل بخطايا لا تُحصى، إنك بحاجة إلى تعزية الكتاب المقدّس الدائمة. أنت على خط النار في المعركة الحياتيّة وتتلقى الجراح باستمرار. امرأتك تغضبك، وابنك يُحزنك، ومستخدمك يُغيظك، وعدوّك يلاحقك، وصديقك يحسدك، وجارك يشتمك، وشريكك يرتاب فيك، والحاكم يهدّدك. أناس كُثر أيضاً، وحالات كثيرة، يسبّبون لك اضطراباً وضيقاً وألماً وحزناً ويأساً. إنّ سهام أعدائك المنظورين وغير المنظورين تضربك من دون توقف من كلّ ناحية، لذلك أنت بحاجة إلى سلاح الكتاب المقدس الكامل. إذاً، أرجو منك ألاّ تهمل قراءته إن كنت تعرف قوّة الكلمات التي يحتويها أو تجهلها، لأنّ القراءة المستمرّة تساعد في ألاّ يغيب ما نقرأه عن ذهننا أبداً. غالباً ما يحدث أنّ ما لا نستطيع أن نفهمه اليوم، إن أعدنا قراءته غداً سنفهمه في الحال، لأنّ الله المحبّ البشر يُنير ذهننا بشكل غير منظور. كما ترى، من أجل فهم مواضيع الكتاب المقدّس لا نحتاج إلى حكمة بشريّة بل إلى كشف من الروح القدس. إذاً، إن قرأنا الكتاب المقدّس بانتباه وتركيز، سنتمكّن من الفوز بخلاصنا، وإن تغذّينا به دائماً سنتعلّم الحقيقة العقائديّة والحياة الكاملة أيضاً.

+ إنّ عمل العهد القديم كان إعادة الإنسان إلى إنسانيّته، بينما عمل العهد الجديد كان تحويل الإنسان إلى ملاك. بكلام آخر، لأنّ الشرّ قاد الناس إلى فقدان خصائصهم الإنسانيّة محدراً إيّاهم إلى حالة الحيوانات غير العاقلة وجاعلاً إيّاهم مشابهين للوحوش، حرّرهم الناموس الموسويّ من الإثم أولاً، وناموس النعمة في الإنجيل أعطاهم الفضيلة الملائكيّة فيما بعد. على أيّ حال، فإنّ هدف العهدين واحد وهو إصلاح الناس.

+ إقتدوا بفضيلة القدّيسين واحتمالهم للإساءة وطول أناتهم وحكمتهم. إنّ سِيَر القدّيسين تعلّمنا السلوك بورع وتزرع فينا الغيرة الإلهيّة. إنّ القدّيسين لم يلمعوا بعجائبهم بقدر ما لمعوا في حياتهم. إنّ الحياة هي التي تشعّ في كلّ مكان وهي التي تجتذب لنا نعمة الروح القدس. إنّ العجائب يمكن أن تؤذي في بعض الأحيان إن لم نكن حذرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb